(c) http://nidaulhind.blogspot.com

ثقافة الهند

JAMIA CENTRAL LIBRARY
3 AUG 1970

المجلد الواحد والعشرون العدد الثاني ابريل سنة ١٩٧٠

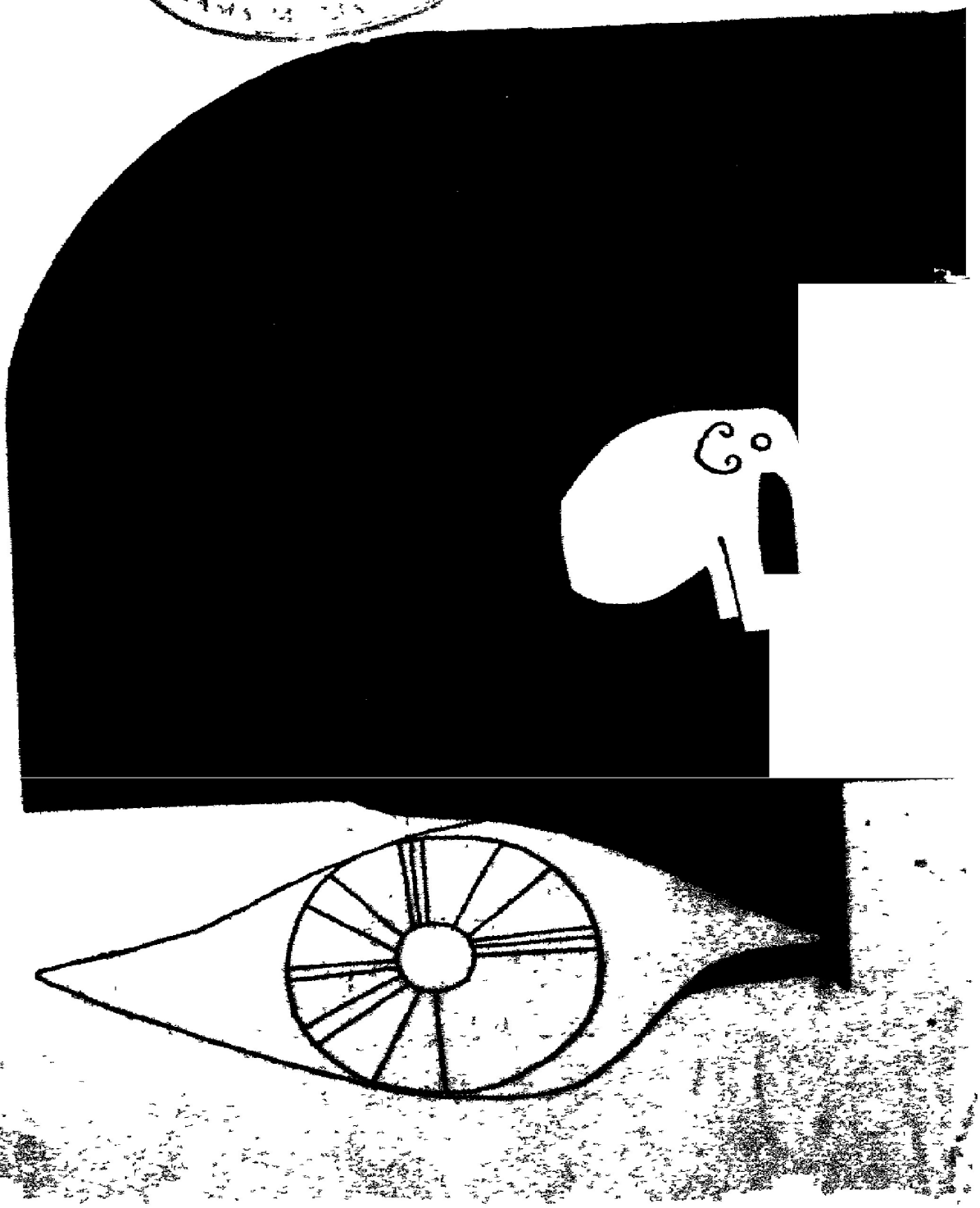

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

محتويات العدد

صفحة

٣ لمحات المجتمع الهندركى فى المراجع اليونانية ... . الدكتوره اندرتا تشاتوپادهيا ٢٤

الموضوع

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

لمحات المجتمع الهندوكى فى المراجع اليونانية

دكتوره ايارنا تشاتوبادهيا

أولا وقبل كل شئ انتبه الاغريق فى إبان احتلالهم القطر الهندى لإخصاب التربة، وهذا الذى انتبهوا له من وفرة الأغذية الطيبة وازدهار الأرض، ورد بيانه بتمامه محققا ومؤكدا فى الأدب اليونانى المعاصر كما أن الأدب البوذى، على اتساع مجالاته، لا يشير إلى قلة الإنتاج أو الفاقة فى أى مكان كمعضلة اجتماعية مرهقة - ولكننا بخلاف ذلك نلاحظ مجهودا كبيرا من تلقاء «البوذا» يبذله بصدد ردع الجمهور عن انغماسهم للغاية، فى الترف والترفه - كما نرى رفاهية البلاد الهندية وغزارة الأشياء الماتعة بها تبدو ماثلة بجلاء أمام العيون فى كتاب (ارطشاستر[1]) و المؤلفات الطبية لجرك وسوسروت وفى (مهابها[2] شيا) لباتنجل - وإذا سرحنا النظر فى (ديجبها[3] نيكاى) عثرنا على أن البراهمة المتتلمذين أيضا كانوا يسكنون المبانى الفخمة، ويلبسون الشاش الرفيع الناعم، ويطعمون ألوانا شهية، ويركبون عربات ومراكب، ويتخذون عبيدا وخدما وينغمسون فى أنواع الملاذ والشهوات فيعيشون فى الواقع عيشة كبراء المقطعين[4] - ونعثر فى أقاصيص المواليد أو جاتك (Jataka) على شواهد عديدة تعرفنا بالأغنياء المثرين من هؤلاء البراهمة - والاغريق أنفسهم يحدثوننا عن البراهمة أنهم بعد ماقضوا فى التلمذة وقتا طويلا، كانوا يدخلون فى حياة عائلية ويعيشون إذ ذاك عيشة

---

(١) Arthaśāstra (٢) Mahābhāṣya (٣) Dīgha Nikāya

(٤) راجع : Dīgha Nikāya, Ambatta Sutta

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الترف والتسلية إلى حدكبير - فيتخذون ملابس من موصاين الرفيع ويأكلون طعاما دسما ويستعملون من أدوات الزينة حلياً مزخرفة ويتزوجون أزواجا كثيرة ويقضون عيشة راضية مرضية - هذا ونجد فى كل من (دهرم سوتر[1]) و (مانو[2]) أنه يسمح للبراهمة أن يعيشوا عيشة متنعمة وأن ينغمسوا فى اللذات العائلية بعد ما صاروا أرباب البيوت .

وإذا عاش البراهمة عيشة الترف كما ورد بيان ذلك فى (امباطاسوتا[3]) فهناك يمكن لنا أن نتصور بكل سهولة ، أن الكشاترة[4] الأغنياء المختصين بالحكومة وكذلك التجار والسماسرة الأثرياء الملقبين فى الأدب البوذى بسطهيز[5] ، مع ثروتهم الضخمة الهائلة إلى حد الخرافة ، كيفما كانوا يقضون حياتهم ويترفهون - ومن هنا صح ما يواصلنا عن الإغريق بصدد ازدهار القطر الهندى ولا يعد ذلك بيانا مزخرفا من جهتهم .

لقد تأثر الاغريق من رفاهيد القطر الهندى الى الدرجة التى بلغوها فى تأثرهم من ضلاعة الهنود وسلامة أبدانهم بكيفية[6] غريبة - وكذلك أفادونا عن أهل الهند بأنهم الى جانب وفرة وسائل المعاش جاوزوا المكانة الاعتيادية وامتازوا بعوائد سامية . وبهذه المناسبة لابد أن نشير الى شخصية (پوروس[7]) البارزة الجليلة بتفوق كما وصفها الإغريق بإعجاب[8] كبير - فلاغرو أن

---

(١) Dharmasūtras (٢) Manue (٣) Ambatta Sutta

(٤) Kṣatriya (٥) Setthis (٦) راجع : INDIA as described by Megasthenes and Arrian, Calcutta, 1960, P. 30

(٧) Poros (٨) راجع : Classical Accounts of INDIA, Calcutta, 1960, P. 116

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الصحة والعافية اللتين تمتع بهما الهنود أخذتا بمجامع قلوب الإغريق الذين كانوا إذ ذاك شعبا رئيسيا فى أوروبا ، على أنهم شاهدوا عن كثب ومارسرا بالمباشرة شعوبا متحضرة كالمصريين و الفرس ـ ويؤدى ذلك كل واحد إلى هذا الاستنتاج بأن الهنود فى ظرف القرن الرابع قبل الميلاد كانوا أصح اجساماً وأروع شكلا وقواما حتى ادا قورنوا بغيرهم من الشعوب المتحضرة كلها فى العالم .

يحدثنا الاغريق فى خصوص رفاهية البلاد الهندية عن إخصاب التربة وجودة نظام الرى الذى يساعد كثيرا على نماء إنتاج الأرض ، فهذا وما إلى ذلك كله حقيق بالاعتبار تماما ، وان قرع اذاننا ما يروى عن غطرسة الجبابرة من أسرة « نندا » الملكية ، الذين حكموا مناطق الهند الشمالية الشرقية و بلغوا الغاية فى الاستبداد إلى ان أضحوا ممقوتين للنهاية من بين الاسرات الحاكمة للهند لشدة حرصهم على جمع المال أو على الراجح لقلة احترامهم للبراهمة الذين آلت إليهم زعامة المجتمع والكهنوت الهندوسيين فهؤلاء الجبابرة مع هذا السخط عليهم لم يلحقهم أى ملام على مجاعة أو قلة الغلال دهمت البلاد الهندية تحت إمرتهم نتيجة عن تماديهم فى الغفلات والملاهى .

إن النظام الجيد للسق ، على ما وصفه ميغاستنيز[٢] ، يشير بلاشك إلى هذه الحقيقة بأن الولاة عملوا بالمواظبة على القوانين المودعة فى المؤلفات

---

(١) راجع : Ancient India as described by Megasthenes and Arrian, P. 30

(٢) المرجع الالف

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

التشريعية أو دهرمشاستراس[1]، وقاموا بجملة الترتيبات اللازمة للرى، وتعهدوا الزراعة بعناية فائقة . وقد كانت طبقة الفلاحين ذات أهمية بالغة - وتمتعت من الرعاية والحماية بانواع جمة على ما انتبه لها الإغريق[2]، وذلك يشرح الحقيقة بأن القطر الهندى ظل حائزا للمواد الغذائية الغزيرة، وللرفاهية التابعة - فقد كان الفلاحون فى المجتمع الهندوسى طبقة يحمى ذمارها[3] . وفعلا كان ذلك صورة صحيحة للقطر الهندى التى قدمها الاغريق إلى الأجيال التابعة .

وفضلا عن ذلك فقد أفادونا بأن الفلاحين كانت لهم الأغلبية الساحقة فى المجتمع بالنسبة إلى غيرهم من الفرق والطبقات - وكانوا يستثنون من المهنة العسكرية وماسواها من وظائف الجمهور الشعبية، حتى استطاعوا أن يقضوا الوقت تماما فى الفلاحة - وكان العدو المهاجم لايمسهم بسوء وذلك لأنهم اعتبروا طبقة الفلاحين محسنة إلى البشرية ودلك ظلت فى حرزومنعة من كل ضرر وتلف - فإذا كانت الأرض تبقى هكذا غيرمدمرة وهى تنتج محصولا ضخما على استمرار، فلاشك أنها تزود أهاليها بكل ما يلزمهم لتكون الحياة سارة للغاية، طبقا لما يلاحظ ميغاستنيز[4]، و مايجب تقييده بصدد المزارعين أنهم بموجب ماذكر هذا الملاحظ كانوا يقدمون إلى

---

(١) Dharmasūtras

(٢) المرجع السابق : P. 32

(٣) المرجع السابق : Pp. 32, 39

(٤) المرجع السابق : P. 39

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الملك ربع ما تنتج الأراضى[١]. ولا غرو أن ذلك يلقى ضوءاً على نظام الضرائب فى بلادنا الهندية ـ وكانت الخطة الشائعة فى تقدير المكوس أن يؤدوا سدس نتاج الأرض أو الثمن أو الجزء الثانى عشر، طبقا لطبيعة الأراضى كما ورد ذلك مشروحا فى (بودهاين دهرم سوتر)[٢] ثم فى (مانو) وعلى كل حال فإن الأخبار المدونة باليونانية توضح لنا أن ربع نتاج الأرض، الذى كان (أشوكا) يأخذه فيما عرفنا عن كتابة (لومبينى)، لقد جرى به التعامل منذ عصر أسلافه ـ خفض أشوكا الضرائب عن أهل لومبينى خاصة، فقد كان ذلك مولد «بوذا» فكان القدر المضروب عليهم ثمن منتجات أراضيهم بدلا من الربع الذى لم يزل قدرا مضروبا على أهالى الأقطار الأخرى فى تلك الامبراطورية[٣] ـ ولقد تضمنت الكتابة[٤] هذا النص :

أما الرواية الإغريقية بأن البراهمة كانوا يستثنون من التأديبات وكانوا لا ينقادون لاى واحد، فهى تحتاج إلى مزيد التحرى و الاستشفاف ـ إن درسا انتقاديا لكتب «دهرم سوتر» المعاصرة يرشدنا إلى أن الشرف و التفوق اللذين تميز بهما المجتمع الهندكى، لقد حصلا بفضل هؤلاء البراهمة الذين كانوا علماء ومتخلقين بمحاسن الشيم مع تخلصهم من جملة المآثم واتصافهم بالصفات المثل و الذى تقدم عن الإغريق يسمع رجع صداه فى

---

(١) أيضا المرجع السابق : Pp. 39–40

(٢) راجع : Baudhāyana Dharma Sūtra, 1, 10, 6

(٣) راجع : Manu, VII, 130

(٤) Rummindei Pillar Inscription

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

قول جوتاما هذا «إن الملك هو مولى الجميع إلا البراهمة»، ولكن الموقف الفعلى للبراهمة وإلى أى حد أمكن لهم التحرر من تبعية الملوك ذلك كله يقتضى دراسه انتقادية أمامسئلة الاستثناء من الضرائب فقد ورد بيانها بالوضوح فى (اباستامبا دهرم سوتر[٢]) فقد جاء فيه أن الرجل الفاضل من البراهمة كان فى حل من أداء الضرب وهذا يدل باليقين على أن الأميين منهم لم يتمتعوا بهذه الميزة. هذا وفى قضايا الجناية والعقوبة نحن نلاحظ أنه إذا ارتكب القتل والسرقة رجل من طبقة (شودر) صودرت أمواله وقضى عليه بالإعدام فإذا كان الجانى من طبقة البراهمة حكم عليه بالإعماء وسمل[٣] العيون. نعم فى (جوتاما دهرم سوتر) ورد هذا القانون بان النكال البدنى لا يعاقب به الجانى من طبقة البراهمة[٤] - لقد أتى جوتاما فى موضع من أوائل تاليفه تجديد ما ينبغى للرجل أن يتعرفه من علوم «الفيدا» حتى يصح عليه اطلاق العارف يعنى بعلوم «الفيدا» - ثم إنه ذكر أن واحدا من البراهمة إذا بلغ هذا الحد من المعرفة فانه عند ذلك يستثنى من السجن والعقوبة البدنية والجلاء والغرامة المالية والتبكيت[٥] - ونحن نمر فى موضع آخر من النصوص بأن البراهمة يلزمهم أن يؤدوا الغرامات طبقا لقول

---

(١) راجع : Ancient India as described by Megasthenes and Arrian, P. 38

(٢) راجع : Gautama Dharma Sūtra, XI, 1

(٣) راجع : Apastamba Dharma Sūtra, II, 10, 26, 10

(٤) المرجع السابق : II, 11, 28, 17

(٥) راجع : Gautama Dharma Sūtra XII, 46

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

جوتاما الذى وضع قانون الاستثناء من أداء الغرامات[1] للبراهمة المتضلعين من علوم «الفيدا» ـ وفضلا عن ذلك فإنه لحقيق بالاعتبار والملاحظة أن الرجل من (شودر) إذا سرق فقد لزمته غرامة جد خفيفة وإذا كان السارق من طبقة أخرى غير (شودر) صار مقدارها مضعفا أما إذا كان رجلا فاضلا فكانت العقوبة شديدة[2] للنهاية ـ وهذا فيما يتوضح موقف معقول للغاية ـ فان جناية لا يتوقع من رجل فاضل أن يرتكبها لا بدأن تجر عليه الويل تماما إذا ارتكبها . بينما أن الجاهل من طبقة (شودر) إن جناها فلا نكير يشتد عليه وانما يعامل معه بالتسامح والعطوفة بسبب هذه الحقيقة الواضحة أنه ساذج عليهم المعرفة ـ وإذا رجعنا إلى كتاب (أرطشاستر) لكوطليا لاحظنا من محكمة الجناية لين الجانب نحو البراهمة ولكننا مع ذلك لانعثر على شئ من قوانين الاستثناء للبراهمة من العقوبة[3] .

(للمقال بقية)

---

(١) المرجع الآنف : VIII, 4–13

(٢) المرجع الآنف : XII, 11

(٣) المرجع الآنف : XII, 15–17